(اللسان)

(1)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه

- أعصى الأعضاء على الإنسان (اللسان):

قول لبعض السلف: من نِعم الله العظيمة على الإنسان أن جعل له جسدًا وهذا الجسد يتكون من عدد من الأعضاء ومن ضمن هذا الأعضاء عضوًا صغيرًا وهو من أخطر الأعضاء وأعظمها على الإطلاق، فإنه صغير جرمه، عظيم طاعته وجرمه، إذا لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان، واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد، وكما أن خطره عظيم فإن الأجر المتحصَّل من ورائه عظيم، له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله، أعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن

آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله، وإنه أعظم آلة للشيطان في استغواء الإنسان.

فأخطر ما في الإنسان وأعصى الأعضاء عليه هو اللسان، لأنه من أكثر الأعضاء عصيانًا، وقليلٌ من يستطع أن يمنع لسانه من العصيان.

فالشخص الذي يريد الذهاب إلى مكان تُرتكب فيه المحرمات يمكن أن يُفكر كثيرًا قبل أن تقتاده قدماه إلى هذا المكان، ولو أن شخصًا أراد أن يقتل آخر فسوف يُخطط ويُدبر قبل أن يقوم بهذه الجريمة، وكذا مَن أراد أن يسرق أو يفعل الفاحشة فإنه سيُفكر مرات ومرات قبل الإقدام على أي فعل

_إذن فإن كل فعل محرم لابد أن يسبقه مساحة أو مسافة أو مدة للتخطيط والتدبير قبل ارتكاب هذا المحرَّم، لكن جريمة اللسان فلا تتوفر لها هذه المساحة أو الفترة ففي لحظة يقع اللسان فيما أراد أن يتفوه به، فبمجرد سماع كلمة ليست على هواه أو غير مُرضيه له فإنه سيُسارع إلى الرد

لماذا يُقال أن اللسان هو أخطر الأعضاء وأعصاها على الإنسان ؟

لأنه عضو يعصي بسهولة (المعصية تجري عليه ببساطة) والشيطان يعلم هذا جيدًا وبالتالي فإنه ينصب شباكه من أجل أن يُوقع بني آدم في هذه المعاصي العظيمة والتي تتمثل في آفات اللسان.

والتابع لشيطانه التارك للسانه العنان فأطلقه ولم يمنعه أو يُحجمه غير مدرك أن النتيجة هي حسنات تُستهلك وسيئات تُستجلب وأعمال تُحبط وستكون هباءً منثورًا وما كان ذلك كله إلا بسبب هذا العضو الصغير.

فالعُجْب والكِبر والكذب والنفاق والغيبة والنميمة وغير ذلك الكثير يندرج ضمن آفات اللسان (إهلاك حسنات_إثقال لميزان السيئات) والعبد لا يشعر.

وقال بعض السلف أيضًا: وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير.

وحتى يعرف الإنسان ما هي الآفات أو الأمور التي يمكن أن يعصي بها الله فتلك مسألة عزيزة، لأن الشخص قد يتكلم كثيرًا ونسبة كبيرة جدًا من هذا الكلام خطأ وهو لا يدري خطأ هذا الكلام.

فمسألة معرفة الحرام من الحلال فيما يخص اللسان مسألة عزيزة ولا يعرفها الكثيرين فهي تحتاج إلى العلم.

يتحدث شخص عن آخر فإذا ما قيل له توقف عن ذلك لأنك تغتابه فإنه يقول أنا لا أقصد أن أغتابه ولكني أروي ما وقع منه.

مثال: امرأة أخذت تروي عن أخرى أنها سرقتها أو خانتها أو أي شيء من هذا القبيل، هذه الرواية للآخرين في حد ذاتها تُعد غيبة وحتى لو كان ما روته أشياء حقيقية فإنها أيضًا غيبة.

لأن العلماء قد حددوا الحالات التي يجوز فيها الحديث عن الآخر ولا يُعتبر هذا غيبة منها:

– الشكوى بغرض السؤال (قاضي_محامي) أو مظلمة ما أو مشكلة ما بين زوجين فيلجأ الطرفين لحكم من أهله وحكمًا من أهلها، في هذه الحالات يجوز الكلام، أما الحديث (مع صديق_قريب) على الهاتف مثلًا عن شخص بأنه فعل وفعل وفعل فهو مما لا يجوز وقد يعقُب هذا سب أو دعاء على هذا الشخص الذي فعل هذه الأمور، ثم يُحْتَج بأن هذا حدث بالفعل ممن يَحْكَي عنه.

وحتى مَن يعرف آفات اللسان فإن العمل بمقتضى هذه المعرفة سيكون صعب وثقيل جدًا كالغيبة (مثلًا).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ» **أخرجه مسلم(2589)**.

هذا الحديث يعرفه الكثيرين فهل يعملون به؟!

السؤال: هل الكلمات التي يتحدث بها شخصٌ عن آخر في غيبته يمكن أن يتحدث بها أمامه؟ تلك هي القضية، فالأمر واضح ولا غموض فيه لأن الإجابة إذا كانت بالنفي فتلك هي الغيبة.

المسألة سهلة وعرف البعض حدود الغيبة فهل توقف هذا البعض عن إتيانها؟ هل كفُّت الألسنة عنها؟ بالطبع لا.

عرفوا أنها غيبة وأنها حرام ولا تجوز وبالرغم من ذلك يقولون: إن الله غفورٌ رحيم وهل تريدون منَّا أن نحبس حتى الكلمات التي نتفوه بها كي نُنَفِّس بها عن أنفسنا؟ هل كل شيء لديكم حرام حتى كلام اللسان فماذا بقي لنا ولم تُحرِّموه؟

إن العلماء لا يُحرِّمون شيئًا ولا يُحللون آخر ولكن رب العالمين هو مَن يقُم بذلك فالحرام والحلال أمرٌ من عند الله ودور العلماء يقتصر على البيان والتوضيح ليس أكثر (التشريع لا يكون إلا لله سبحانه).

الأمر الآخر الذي يُسهِّل على اللسان الوقوع في المعاصي هو: أن الإنسان عندما يتكلم أو يعصي الله بهذا العضو فإنه لا يجد تعب أو مشقة أو مؤنة (ثِقَل) عند تحريكه.

مثال: لو أن شخصًا يُريد الذهاب إلى مكان ليرتكب فيه مُحَرَّمًا فإنه سيُفَكِر مرات ولو من باب الكسل عن الخطوات التي تسبق ذهابه إلى هناك أما في حال معصية اللسان فإنه لا يحتاج إلى خطوات ليقع في المعاصي الخاصة به، فاللسان لا يكَلّ ولا يمَلّ من الكلام كما أنه لا يتعب ولا يمرض من كثرته ولو تكلم الإنسان طوال اليوم، في حين أن العبادة تَشُقْ عليه ولو قَلَّتْ مُدتها لأن الأعضاء تتعب أما اللسان فهو العضو الوحيد الذي لا يتعب.

إذن فإن الخطر الأول هو: **عدم معرفة الكلام الصحيح من الكلام الخطأ** (آلة الضبط ليست موجودة لانعدام العلم)، فإذا تواجد العلم وأصبح لدى الشخص آلة الضبط هذه وفرَّق بين الصحيح والسقيم من الكلام فإن هذا الأمر يكون ثقيل عسير على المُتكلم لأنه من الصعب عليه أن يكبح جماح هذا اللسان ويمنعه عن أن ينطلق في الحرام.

فما الذي جعل هذه المسألة تصعُب على الإنسان لأنه وكما سبق القول لا توجد مؤنة أو تعب أو مشقة أو حتى مجهود في تحريك هذا اللسان وهذا هو مكمن الخطر.

يقول الإمام الماوردي: الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر، ولا يمكن استرجاع بوادره، ولا يقدر على رد شوارده، فحق على العاقل أن يحترز من زلله بالإمساك عنه أو الإقلال منه.

ويُقصد بهذا : أن ما داخل الإنسان لابد أن يخرج على لسانه فلا يعتقد أحد أن شخصًا ما أطلق لسانه لينال من المسلمين ويُقطِع لحومهم ثم يُقال عنه أنه يفعل ذلك فعلًا ولكنه طيب.

فالطيب ما طيبه الشرع، والخبيث ما خبثه الشرع، فما هي مقاييس كلمة طيب عند المسلمين (كلام أصبح مرسلٌ وخطيرٌ) فما الذي طَيَّبْ شخصٍ كهذا؟ كلامه خبيث ونواياه خبيثة ويُقَطِّع لحوم المسلمين ثم وبالرغم من ذلك يُقال عنه أنه طيب (فما مقياس الطيب عند المسلمين) تلك مصيبة أخرى.

– **فالكلام تُرجمان لأنه مستودع الضمائر:** فما يدور بداخل الإنسان يخرج في كلامه ولابد فكل إناءٌ بما فيه ينضح

– **ويخبر بمكنونات السرائر:** فما يُضمره الإنسان أو يُسِرَهُ من مشاعر أيضًا لابد أن تخرج في كلامه وعلى لسانه، فمَن كان حاقدًا على غيره فإنه يتكلم بما يُسْقطه، ومَن كان مُغتاظًا من أحد فإنه سيتكلم عليه بما فيه وما ليس فيه.

– **ولا يمكن استرجاع بوادره:** وما تَحَدَّثَ به العبد لا يستطيع أبدًا أن يستعيده، فمَن وقع في الخطأ بتحدثه ببعض الكلمات عن الآخرين هل

يستطيع أن يتداركه مرة أخرى ؟ لا. لن يستطيع، ولذلك فقد كان الأولى أن يُفكر قبل أن يتكلم ويزن ما سيُقال قبل أن يُقال وليس بعده.

على العبد قبل أن يتكلم أن يسأل نفسه سؤال المسلم العاقل: الكلمات التي أتحدث بها لابد أن الملائكة تكتبها ففي أي الصُحف تُكتب هذه الكلمات في صحائف الحسنات أم في صحائف السيئات؟ حريٌّ بمَن يتكلم أن يسأل نفسه هذا السؤال (مكالمة على الهاتف_وقفة مع زميل العمل_ حديث مع جارة) ولو كان لدى الإنسان ذرة عقل وشعر أن هذه الكلمات يمكن أن تُكتب في صحائف السيئات فالواجب عليه أن يتوقف فورًا لأنه من الصعب محو السيئة وكذا التصافي مع صاحب الحق.

وقد سبق القول أن الذنوب التي تكون في حق الله عز وجل يمكن أن يغفرها لأنه هو (الكريم _المنان_الرحيم_إلهٌ _واحد_أحد) يعفو ويغفر بالتوبة والاستغفار، أما الخطأ في حق البشر فهو من أصعب ما يكون استرجاعه.

قال الإمام النووي رحمه الله في كتاب (الأذكار) في باب حفظ اللسان:

"بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا؛ فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟.

فقال: هي أكثر من أن تُحصى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها.

قال: ما هي؟.

قال: حفظ اللسان".

لقد أحصى عيوب ابن آدم فوجدها ثمانية آلاف عيبًا ولكن خصلة واحدة لو ضبطها العبد وسيطر عليها لكفته كل هذه العيوب (أحفظ لسانك).

إن الله سبحانه قد حث عباده كثيرًا في الكتاب العزيز على مسألة حفظ اللسان.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: 18]

فأي كلمة تخرج من الإنسان يُحصيها عليه مَلَكْ صفته أنه رقيب عتيد فيعُد عليه كل شيء ويُراقب كل كلمة وستُكتب ولابد.

فلا شك أن كل كلمة تخرج من اللسان تُكتب ولا مجال لغير ذلك وستُكتب إما في الحسنات وإما في السيئات.

ولذلك فقد كان طاووس (وهو من السلف الصالح) يعتذر للناس عن طول الصمت، كان الناس ينتقدوه على صمته وهو يُجالسهم، في حين أن هذا الصمت يُعَد ميزة وفضلٌ من الله عز وجل.

كَانَ طَاوُسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْتَذِرُ مِنْ طُولِ السُّكُوتِ، وَيَقُولُ " : إِنِّي جَرَّبْتُ لِسَانِي فَوَجَدْتُهُ لَئِيمًا رَاضِعًا".

يطلب الناس منه أن يتكلم نظرًا لأنه عالم فهم يُريدون أن ينتفعوا بعلمه ولكنه بالرغم من ذلك يقول :أنه جرب لسانه فوجده لئيم فإذا ما أنطلق أخطأ.

فمَن هذا الذي جرَّب لسانه ووجده لئيمًا (إمام_علم_جبل _من علماء السلف) هذا هو طاووس يرى أنه لو تكلم لوقع في الخطأ ففضل السكوت

هؤلاء القوم كانت لديهم عقول مُتيقظة منتبهة وأهداف واضحة وكانوا يبتغون بسعيهم رضا الله عز وجل، فلم يكن لديهم هدفًا يُنازع الهدف الأسمى ألا وهو رضا المَلِك.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)﴾[الانفطار].

هناك ملائكة حفظة على العباد عملهم هو الكتابة وإحصاء كل كلمة تخرج من ألسنتهم.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)﴾[الإسراء]

فما هو المقصود بالقفو: قيل: رمي الناس، وقذف المحصنات، واتهام الناس بالباطل، الشهادة بغير الحق.

وقيل أيضًا في المقصود بالقفو هو: شهادة الزور، والتحريم والتحليل، وقذف المحصنات الغافلات، والكذب، والشك في المسلمين،

فلا يجوز الحديث عن شيء أو الإفتاء فيه إذا لم يكن الشخص على علمٌ به ويندرج تحت ذلك (الكذب_الزور_الشرك_قذف المحصنات_التحريم والتحليل).

التحريم والتحليل: وهي المسألة التي أصبحت سهلة جدًا عند بعض طلاب العلم، فقد يكون الطالب للعلم في بداية طلبه للعلم الشرعي وبمجرد حضوره لعدة مجالس أو سماعه للعلماء لمدة عام أو اثنين إذا به يفتي ويُجيب عن أي سؤال يُوجه له بمنتهى التجرؤ(حرام_حلال) وينقل أقوال قد تكون مرجوحة وقد يكون في المسألة تفصيل، وقد يكون الحديث الذي استند إليه

منسوخ أو أن الآية نُسخت ولكنه وجد أن الآية تُناسب الكلام فاستشهد بها، فما الذي أدراك أيها المُتجرِّأ على الفتوى أن هذا الحديث لم يُنسخ؟ وما هي أحكام الحديث؟ والظاهر والمؤول لهذا الحديث إن كان فيه ذلك؟

_كل ما في الأمر أنه حضر عدد من المجالس ودرس كتاب أو اثنين فانطلق ليُفتي هنا وهناك وما التفت إلى أن كلمةً واحدة مما تجرَّأ على النطق به يمكن أن يُلقي به في جهنم لأن التحريم والتحليل خاص بالله سبحانه وتعالى فهو المشرع.

وسيُسأل الإنسان عن كل أعضائه (السمع _البصر_الفؤاد_اللسان)

قال الله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3)**﴾[المؤمنون]

يُبلغنا ربنا رسالة ويُظهِر لنا قضية ألا وهي:

أن الفلاح سيكون للمؤمنين، فما هي صفات هؤلاء المؤمنين؟

1- الذين هم في صلاتهم خاشعون: (تتسم صلاتهم بالخشوع)

2- والذين هم اللغو معرضون: فبعد أن ذكر الخشوع في الصلاة ذكر الإعراض عن اللغو، فإذا ما أتينا بالمفهوم المخالف أي أن الإنسان إن لم يُعرِض عن اللغو فلن يَحْدُثْ له خشوع في الصلاة، وتلك هي الشكوى التي تأتي دائمًا من الناس بما فيهم طُلاب العلم، كيف أخشع في الصلاة؟

السبب في ذلك هو انعدام الإعراض عن اللغو، فمَن لا يُعرض عن اللغو لن يتحقق له الخشوع في الصلاة.

لقد أثنى ربنا سبحانه على عباده المُعْرِضِين عن اللغو، وقد يكون الشخص مُعرض عن اللغو أي أنه لا يتكلم كثيرًا ولكنه يُخالط ويُجالس مَن لا يُعرضون عنه (مجالس تملأها الغيبة والنميمة والحديث فيما ليس منه نفع) فما هو الذنب الواقع فيه هذا الشخص؟ هو مشتركٌ معهم في نفس الذنب، فقد كان عليه أن يمنع هذا المنكر أو ينسحب من هذا المجلس، فلا يجوز للمسلم المؤمن أن يجلس في مجلس غيبة بل عليه أن يُنبه الحاضرين إلى أنه لا يجوز أن يعقدوا مجلس للغيبة فإما أن ينتهوا عن فعل ذلك وإما أن ينصرف ولا يستمر في مجالستهم ومهما كانت تعليقاتهم على انصرافه فعليه أن لا يتراجع عن موقفه لأن هذه الجلسة تضره وتُسقط دينه وستكون في ميزان سيئاته.

والإشكال أن الشيطان لا يدع للإنسان مجالًا ليرى حجم الذنب الواقع منه لأنه يرى أنه يصلي ويقرأ الأذكار ويحضر مجالس العلم ويؤدي ما عليه من عبادات فَيُخَيَّلَ له أنه على خير حال، هذا هو إيعاز الشيطان له.

قد يكون هذا جميل لو كان هذا الشخص لا يصدر منه إلا تلك الأفعال ولكنه في المقابل يفعل ذنوبًا ولا يلتفت إليها، فدائمًا ما يدفع الشيطان الإنسان للنظر إلى الحسنات والطاعات التي يعملها ولكنه في المقابل يجعله يغفل عن المعاصي والسيئات.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا» **سنن أبي داود(4875)[حكم الألباني] : صحيح**

هذا الحديث يعلمه الكثيرين بل ويحفظونه عن ظهر قلب ولكن أين العاملين به والموقنين بالعقوبة المترتبة على فعل ما جاء فيه؟

فما هو كم الأشياء التي نحتاج إليها لنُلقيها في البحر حتى يتعكر ماءه ؟

لقد أشارت أم المؤمنين عائشة بيدها ولم تتكلم فجاء رد النبي ﷺ عليها بهذا، الكثيرين يعرفون الحديث ويعلمون أن المتحدث بالعقوبة هو النبي ﷺ وبالرغم من ذلك فليس لديهم يقين عليه.

لأن مَن كان لديه يقين على ذلك فلن يتكلم بأي كلمة، ثم مَن منَّا يملك حسنات تستطيع أن تُنقي ماء البحر لو تعكر نتيجة ما يتفوه به من كلمات لا تُرضي رب العالمين.

ومن المفاهيم الخطأ عند الناس: أنه يجوز لهم الحديث عن مَن يظهرون على شاشات الفضائيات والصُحف فلم يكتفِ هؤلاء بالمصيبة التي يرتكبونها بمشاهدتهم للتلفاز بل أنهم يزيدون الطين بلة باعتقادهم أن هؤلاء الذين يظهرون على الفضائيات تُباح أعراضهم وأجسادهم ويجوز الكلام عليهم وتقطيع لحومهم وما الخطأ في ذلك (هؤلاء مُمَثِّلُون فُسَّاق).

فعلًا يجوز التحدث عنهم ولكن فيما يُجاهرون به من معاصي أما فيما لم يظهروه فلا يجوز الخوض فيه.

مثال: أحدهم (ممثل) يشرب الخمر ويُجاهر بذلك يمكن القول أنه شارب للخمر ولكن ما لا يجوز فهو القول بأنه يزني أو يُصاحب النساء_وهكذا.

مَن يتكلم عن هؤلاء وبهذه الطريقة يحرق ويُهلِك حسناته وهو لا يدري.

يقول ربُنا: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72)﴾[بالفرقان].

فلا يجوز الكلام في اللغو كما لا يجوز الاستماع له، لأنه وكما سبق يمكن أن لا يتكلم الشخص ولكنه يُجالِس مَن يتكلمون خشية أن ينتقدوه فيضطر أن يسمع ما يقولونه لأنه لا يتحمَّل قصة النقد هذه.

لقد كان حريٌ به أن يتحمل سماع النقد بدلًا من أن تسود صحيفة حسناته ويثقُل ميزان سيئاته ويكون أول مَن تُسعَّر به النار.

مَن يقتنع بهذا الكلام يستطيع أن يصل إلى عملية ضبط اللسان بوضع ميزان للكلام فإذا كان الكلام شرٌ محض فعليه أن يتوقف فورًا، يجمع بين الخير والشر فالأولى أن يتركه، ويبقى المباح فإن كان كثيرًا فسيُفسد القلب ولهذا فتركه أولى، لابد أن يكون الكلام بصورة محدودة جدًا ثم ترك المجالس والانصراف عنها.

قال الله عز وجل: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114)﴾[النساء]

(والصدقة) كما قال أهل العلم: قد تكون مال أو علم يُنتفع به وقد تكون من العبادات، إذن الصدقة ليست قاصرة على المال فقط،

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»

أخرجه مسلم(720)

الشاهد: أنه جعل التهليل والتحميد والتكبير والتسبيح وكل ذِكر لله هو صدقة، فالصدقة قد تكون(عبادة قاصرة كالتسبيح والتهليل _مال_علم يُنتفع به_أو معروف(إحسان_طاعة) وكل ما عُرِف في الشرع وأمرنا به واستحسنه العقل فإنه يُعد معروفًا_ أو أمر بمعروف (كخدمة المسلمين _الحث على الزكاة _أي أمر يَحْصُل به خيرٌ ونفع) فكل خير سوف يؤجر عليه العبد.

قال سبحانه في الآية: ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾

لم يذكر ربنا سبحانه في الآية النهي عن المنكر لماذا؟

_ لأن المعروف إذا أُطْلِق شمل النهي عن المنكر(النهي عن الكذب_عن الغيبة_عن الظُّلم_ عن أكل مال الناس بالباطل)

ثم قال سبحانه: ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

فبدلًا من أكل لحوم المسلمين فإنه ينبغي على المسلم أن يبحث عن المتنازعين المتخاصمين من المسلمين ويقوم بالإصلاح بينهم فيعمل على إزالة التشاحُن والتباغض الواقع بينهم ويكون بذلك قد سعى في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين، وهذا هو الأمر الذي يُحبه الله ويرضاه سواء أكان أمر دنيوي أو أمر ديني.

مثال: اختلف شخصان في مسألة متعلقة بالدين وعند شخصٍ ثالث علم بالحكم فيها فيمكنه أن يتوسط بينهما فيقول: أن المسألة فيها خلاف فقهي

ويسعنا الخلاف وفيها قولان وبالتالي فكلاكما على صواب ولذلك لا ينبغي أن يحدث بينكما هذا التنازع أو التشاحن.

الخلاصة: هي رفع التباغض والتشاحن والشقاق بين المتخاصمين وإحلال التصافي والوئام والود والمحبة بينهم (إصلاح ذات البين بينهما) وهذا هو أعظم عمل يمكن أن يلقى به العبد ربه.

وقال رجل لبعض العارفين: أوصني قال: اجعل لدينك غلافًا كغلاف المصحف؛ لئلا يدنسه، قال: وما غلاف الدين؟ قال: ترك الكلام إلا فيما لا بد منه، وترك طلب الدنيا إلا ما لا بد منه، وترك مخالطة الناس إلا فيما لا بد منه.

– انظروا: كيف كان حال السلف وحال مجالسهم مُقارنةً بمجالسنا نحن الآن؟ رغم أنهم كانوا يُعانون من نفس المشكلات التي نُعَانِي منها الآن إلا أن عقولهم كانت مشغولة بالآخرة وقلوبهم مُعلقة بها ولا شاغل لهم غير ذلك.

فكان الواحد منهم إذا جالس الآخر سأله عن النصيحة بما ينفعه في آخرته وليس في دنياه.

فقال له: اجعل لدينك غلافًا كغلاف المصحف : فكيف يكون ذلك؟

1– ترك الكلام إلا فيما لا بد منه: لا تتكلم كثيرًا فإذا أردت الكلام فلا تتكلم إلا فيما اضطررت إلى الكلام فيه وكما سبق يكون في (أمر بمعروف_نهي عن منكر_إصلاح ذات البين) فيكون حديث المُضطر، أو كلام مباح ولكن يكون بحدود وفي ظل مراقبة وتركيز شديد لما يُقال فلا يُمكِّن لسانه من الانطلاق كلما أراد ذلك لماذا؟

لأن الكلام قد يكون مباحًا في أوله ثم يتحول إلى الحرام.

ولذلك جاءت الوصية الأولى بعدم الكلام إلا فيما لابد منه لأنه يعلم أن اللسان عضو صغير ومن اليسير أن يقع في الخطأ نظرًا لعدم الصعوبة في إطلاقه (فلا تعب ولا مؤنة ولا مشقة) ولهذا تتحصل منه السيئات بمنتهى السهولة.

2- وترك طلب الدنيا إلا ما لا بد منه:

فهي المصيبة الكبرى التي أدت إلى فساد القلوب، وبالرغم من سماع الدروس وحضور المجالس إلا أن التقدم محدود أو منعدم، ومن أسباب عدم التقدم في الدين الدنيا التي تعلقت القلوب بها،

وأمر الدنيا ليس قاصرًا على المال فقط بل أن الدنيا قد يُقصد بها الأبناء، أو الزوج أو الزوجة، وقد تكون النفس، أو الشهادة، أي شيء يمكن أن يطغى على التفكير ويُسيطر على العقل بصورة تصل إلى الانشغال به ليلًا ونهارًا فعلينا أن نعلم أن هذا هو التعلق بأمر الدنيا.

- طبعًا علينا أن نُفكر في أمر دنيانا ولكن إذا زاد الأمر عن حده وأصبح التفكير في هذا الشيء مسيطر سيطرة كاملة على العقل (فشُغله الشاغل هو هذا الشيء) هذا مؤشِر على التعلق الشديد بأمر الدنيا.

3- وترك مخالطة الناس إلا فيما لا بد منه:

نصحه بعدم مخالطة الناس بصورة مستمرة، فأكثر المخالطات وأكثر الجلسات تكون شرًا، وقلَّما أن يجلس الإنسان مجلسًا ويعود عليه بالخير لماذا؟

لأن الذي يجلس مجلسًا ويخرج منه بخير فينتفع به ولا يكسب منه معصية لابد أن يكون قد جالس فيه أناس على درجة كبيرة من الدين والتقوى، فأين هؤلاء؟

فإن كان لديك أيها السامع هذه الدرجة من التقوى فهل لدى مَن تُجالسهم نفس الدرجة منها ؟ لن تجد ولذلك فعليك أن تقوم بأحد أمرين:

1- إما أن تأخذ معك شخص آخر على درجة من الصلاح حتى تتوازن الجلسة.

2- إما أن تكون على دراية بحال نفسك وأن لديك من القوة ما تستطيع بها أن تُوقِف هذه المخالفات والمعاصي فورًا فإن لم تستطع فعليك أن تنصرف مهما كانت تعليقاتهم انتقادهم لك فلا أحد منهم سيُعطيك حسنة يوم القيامة وعند دخولك القبر سوف تُسأل وحدك وظُلمة القبر ستكون خاصة بكل واحد على انفراد، والوقوف بين يدي الله سيكون للسؤال على القليل والكثير والكلمات والحركات.

- الصمت وطول الصمت هذا يُعد ميزة وليس عيبًا أو محل نقد كما يظُن البعض لأن صاحب الصمت سينجو بصمته هذا كما جاء في الحديث

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ صَمَتَ نَجَا»

هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيعَةَ. وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحُبُلِيُّ هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ. **سنن الدارمي(2755)،المعجم الكبير للطبراني(113)، سنن الترمذي(2501)، [حكم الألباني] : صحيح**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» **أخرجه البخاري(6018)واللفظ له، أخرجه مسلم(47)**

إذن الصمت ليس على إطلاقه ولكن الصمت الذي قصد النبي ﷺ في الحديث الأول هو الصمت عن اللغو والمحرمات والشر.

لأن الكلام كما قال ابن عبد البر: الكلام بالخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإدمان ذكر الله بكل أنواعه وتلاوة القرآن أفضل من الصمت لأن الكلام بذلك غنيمة والصمت سلامة والغنيمة، والغنيمة فوق السلامة.

مَن صمت سَلِمَ من الشر فالسيئات لا تزيد، وإذا تكلم انتبه وراقب كلماته فإذا كان كلامه هذا فيه خير(ذكر _تلاوة قرآن_أمر بالمعروف_نهي عن منكر) فإنه يكون أفضل من الصمت.

إذن: الصمت ليس بميزة على الإطلاق ولكنه يكون ميزة إذا كان الكلام يجمع بين الخير والشر، أو أنه شرٌ محض، أما الكلام إذا كان خيرًا محضًا فهو أولى.

قال النبي ﷺ : «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» تلك علامة إيمان ولهذا فإن الواضح من أحوال الناس أن إيمانهم ضعيف، فكم واحد يمكن أن نجلس معه أو نُقابله في حياتنا ونجد حاله ما بين قول الخير أو الصمت،

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»**أخرجه البخاري(6474)**.

- مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ : المقصود هو اللسان
- وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ: المقصود هو الفرج
- فهما أكثر عضوان يُدخلان صاحبهما النار (الفرج_اللسان)
- فالفرج يحدث به الزنا وهو كبيرة من الكبائر وفاحشة ومن الأمور المستقذرة والمُستبشعة عند الناس، كما أنه عارٌ وسوءة على الشخص أن

يكون زانيًا، وبالرغم من ذلك فإن اللسان أخطر منه، لأن الزاني يمكن أن يرتكب هذه الفاحشة مرة ويتوب أو مرتان أما مَن يُطلق لسانه في الغيبة والنميمة وغير ذلك من الآفات المتعلقة باللسان فإنه لن يتوقف عن هذا بل أنه قد يُصبح أحد المُلتزمين (ملتحي_مُقصِر_طالب علم) ومع هذا لا يتوقف لأنه لا يرى أنه يفعل شيء خطأ، في حين أنه إذا قيل له أن فلانًا وقع في الزنا فإنه يغضب ويثور ويشمئز ويستعظم صدور مثل هذا الصنيع، بالفعل الزنا أمره كبير وخطير ولكنه (أي صاحب اللسان المنطلق) غير مدرك أن ما يفعله بلسانه أخطر من جريمة الزنا، وليس مُستنكرًا أن يُنكر هذه الفاحشة وهذا هو وصف ربنا لهذا الذنب ولكن هذا الشخص لديه مصيبة أكبر من تلك الفاحشة وهو غير منتبه لها وتلك هي المصيبة والتي تكمن في عدم الفهم وعدم إدراك حجم المعاصي والذنوب الواقعين فيها،

ولهذا قام النبي ρ بحصر الجنة في هاذين الأمرين(حفظ اللسان_حفظ الفرج)، وحفظ الفرج أمره سهل بالنسبة للكثيرين أو معظم الناس، أما حفظ اللسان فليس كذلك بل هو من أصعب ما يكون ولهذا فعلى مَن يرغب في الجنة أن ينتصر على نفسه في هذا الأمر الصعب.

حفظ اللسان فيه استقامة الإيمان:

فلا يستقيم الإيمان إلا بحفظ اللسان،

يسأل سائل: لقد خطوت على طريق العلم ولكني تراجعت،

ويسأل آخر: وأنا حفظت القرآن ثم نسيته.

من أقوى الأسباب التي تؤدي إلى التراجع والانتكاس وعدم الاستمرار على طريق الخير هو عدم القدرة على حفظ اللسان، فمن المستحيل أن يستقر في الذهن أو الذاكرة حفظ القرآن والشخص يغتاب، وكذا لا يمكن أن يستقر

في الذهن أو العقل العلم النافع واللسان منطلق في السب واللعن والنميمة وسوء الظن بالمسلمين وقذف المُحصنات الغافلات، لابد أن يحدث النسيان والتراجع،

ولذلك فقد جاء في الحديث،

_ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»**مسند أحمد (13048)**.

فإذا استقام القلب وخلا من الحقد والغِل والحسد والغيرة والشر بجميع صوره وفُرِّغ تمامًا من الرياء والنفاق(سَلِم القلب من هذا كله) هنا يستقيم إيمان العبد.

وبدلًا من أن نذهب هنا وهناك ونبحث عن أمراض القلوب وكيفية علاج تلك الأمراض علينا فقط أن ننظر في سنة رسول الله ρ حيث يأتي الحل الذي أرشدنا إليه النبي ﷺ فقال: "وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ".

فمَن أراد أن يستقيم قلبه فعليه أن يضبط لسانه، بيَّن النبي ﷺ الداء ثم أعطى الدواء لهذا الداء، حيث أن الداء يكمن في اللسان والقلب فإذا استقام اللسان استقام القلب، وإن لم يستقم اللسان فلن يستقيم القلب، وفي بداية الأمر قد يجهد الإنسان نفسه ويدفعها دفعًا ويحثها على التطبع بطابعٍ ما ثم بعد ذلك يُصبح الأمر يسيرًا، فيتكلَّف الأمر ثم يُصبح طابعًا له،

_مثال: شخص تعود على التَّحدُث فورًا عن العيب الذي يراه على الآخرين، فيكذب أحد أمامه فيقول عنه أنه كاذب، امرأة تتحدث بطريقة غير لائقة مع زوجها فيقول أن خُلقها سيء، هذا الشخص تعود على فعل ذلك (هناك أشخاص إذا شاهدوا أمر خاطئ فلا يسعهم إلا أن ينتقدوه) هذا النقد يُعتبر غيبة، فإذا ما تكلَّف خصلة عدم النقد أو الحديث عن عيوب الآخرين وهو

يعتصر لأن هذا مخالف لطبعه فسيكون هذا الأمر في بدايته صعبٌ عليه ولكن مرة بعد مرة سيعتاده ويتخلص لسانه ويسلم من الخوض في عيوب الناس إلى جانب أن القلب سيسلم هو الآخر من الحقد على هذا المُخطئ

_سؤال: كيف يتأتى لشخصٍ كهذا أن يكظم غيظه ولا ينتقد المخطئ رغم رؤيته له وهو يفعل الخطأ؟ كيف يمنع نفسه من أن يقول أن هذا كاذب أو بخيل أو عصبي أو سيء الخُلُق.

المنع يكون عن طريق شيئان:

أولهما: العلم بأن هذا الكلام يُعد غيبة وأن حسناته ستذهب إلى مَن يتحدث عنه.

ثانيهما: وهو الأيسر على النفس: أن يقول لنفسه أن هذا المخطئ سواء أكان كاذب أو سيء الخلق أو غير ذلك فإن لديه عيب أما أنا فكم لدي من العيوب (الكثير) وهل انتصرت أنا على عيوب نفسي حتى أُطالب الآخرين بالانتصار على عيوب أنفسهم؟

مثلًا: لو أن إنسانًا يتصف بصفة البخل(حقًا هذه صفة ذميمة) ولكن هذا المنتقد له كم عنده من صفات أصعب من البخل(الكثير).

_فهل سبق لي أن عالجت نفسي من هذه الصفات أو جاهدتها على ترك الذنوب التي أعرفها من حال نفسي قبل أن انتقد الآخرين، فالأولى أن أفعل ذلك قبل أن انتقد الآخر،

فالمخطئ قد يكون عنده من العيوب واحد والمنتقد لديه منها عشرة.

المخطئ لا يقدر على نفسه ليُصلحها والمنتقد ربما يكون كذلك، وقد يكون المخطئ هذا جاهلًا غير مدرك أن فعله هذا حرام أما المنتقد (ربما يكون طالب علم) يعلم أن هذا حرام ولا يليق ولا يجوز ويعلم جيدًا حقيقة الذنوب

ومسمياتها ومعناها وعقوباتها وبالتالي فإنه يعصي الله عن عمد وتلك مصيبة فوق مصيبة ارتكاب هذه المعصية.

_إذن : على المنتقد أن ينشغل بمصيبته هو والمتمثلة في حقيقة علمه بالحلال والحرام ويعرف عيوب نفسه ولا يُحاول أن يتغير

_هذا كله يُسَهِل عليه الامتناع عن غيبة المسلمين والخوض في أعراضهم وأكل لحومهم.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، رَفَعَهُ قَالَ: "إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا" **مسند أحمد(11908)، الأدب للبيهقي(294) ،سنن الترمذي(2407)، [حكم الألباني] : حسن**

أي أن الأعضاء إذا أصبحت وقفت للسان وتقول له اتق الله فينا لأن في استقامتك استقامتنا وفي إعوجاجك اعوجاجنا.

فلو استقام اللسان فسوف يُصلي صاحبه بطريقة صحيحة، ولو استقام لسانه فسينكف بصره عن رؤية الخطأ ، وإذا ما وقعت عينه على عورات المسلمين فلن يذكرها أو يخوض فيها، وعلى العكس سيرى الجميل عند الآخرين وليس القبيح، بالفعل كل منا لديه عيوب ولكن ليس منَّا مَن هو من أعلاه لأسفله شرٌ محض(لا يوجد إنسان يُعد شيطانًا) بل لابد أن يكون لديه ميزة وبالتالي فينبغي غض البصر عن عيوب هذا الشخص والنظر إلى مميزاته، كما أن باستقامة اللسان تستقيم الأذن بعدم سماعها لغيبة أحد، والجوارح أيضًا ستستقيم لأنها لن تسعى إلا في مرضات الله

_ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ

عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قَالَ: " أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: 16] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17] " ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»

سنن ابن ماجة(3973)، سنن الترمذي (2616)

_كان معاذ بن جبل مع النبي ﷺ في سفر وعندما كان على مقرُبة منه قال له :أخبرني عن شيء يبعدني عن النار ويُدخلني الجنة

انتبهوا: كيف كان حال السلف الصالح فكل(أسئلتهم _حواراتهم_أفكارهم_ انشغالات قلوبهم) يبحثون عن الطريق الموصلة للجنة.

تُرى لو أن أحدنا هو الذي كان يسير مع النبي ﷺ فعن أي شيء كان سيسأله،

مَن كان رزقه قليل ربما يسأله أن يدعو الله له أن يرزقه بالمال الكثير

ومَن لم تتزوج ربما تسأله أن يدعو الله لها أن يرزقها بالزوج الصالح

ومَن لم يُنجب يسأله أن يدعو الله له أن يرزقه بالذرية الصالحة (وهكذا) ثم بجانب ذلك أدع لنا بالجنة ولكن الأمر الدنيوي أولًا.

أما السلف فلم يكن لديهم هذا الانشغال بأمور الدنيا، ونظرًا لأن كل إناءٍ بما فيه ينضح فقد طلب معاذ من النبي ﷺ أن يرشده إلى طريق الجنة فهذا

هو الهدف الذي يسعى العُقلاء من أجله، فأرشده النبي ﷺ إلى أركان الإسلام.

ثم قام النبي المعلم بإتمام النصيحة وذلك بتمام الحديث.

إذن جاء في الحديث:

أركان الإسلام : الشهادتين_الصلاة_الزكاة_الصيام_ثم الحج

ثم أبواب الخير: الصوم جُنَّة أي وقاية

الصدقة تُطفئ الخطيئة : عليه أن يتصدق كثيرًا وهذا غير زكاة المال

والصلاة في جوف الليل : قيام الليل

ثم رأس الأمر وعموده وذروة سنامه: الجهاد.

وبعد كل هذه الأعمال التي هي كالجبال ختم القول بأمر يمكن أن يشمل كل هذا«أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» وحتى يستطيع العبد أن ينطلق في أبواب الخير السابق ذكرها فإن لديه ملاك أو جامع هذا كله وهو سجن اللسان بكفه عن الخوض فيما لا يُرضي الله.

فتعجب معاذ أبعد كل هذه الأعمال يمكن أن يكون للسان ضررٌ بالغ بالرغم من القيام بها وهل سيؤاخذ الناس بكلامهم أيضًا، فجاء رد النبي المعلم ﷺ فقال: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ : وهذه ليست دعوة من النبي ﷺ على معاذ ولكنها لفظة كانت تُقال عند العرب.

- **"وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟"** : أي أن سبب كب الناس على وجوههم في النار هو إطلاق الألسنة،

مسألة حفظ اللسان مسألة عظيمة جدًا، والله عز وجل يكره للعباد كثرة الكلام.

عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ" **أخرجه البخاري(2408)**.

– عقوق الأمهات: أصل العقوق القطع أطلق على الإساءة للأم وعدم الإحسان إليها لما في ذلك من قطع حقوقها وخص الأمهات بالذكر وإن كان يستوي في ذلك الآباء والأمهات لأن الجرأة عليهن أكثر في الغالب.

– وأد البنات: دفنهن وهن أحياء.

– ومنع وهات: منع الواجبات من الحقوق وأخذ ما لا يحل لكم من الأموال أو طلب ما ليس لكم فيه حق.

تناول العلماء في شرحهم للحديث قوله : إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات فلماذا قيل عقوق الأمهات ولم يجمع بينهن وبين الآباء مع أن عقوق الأم مثل عقوق الأب؟ لأن الآباء في الغالب يكون من الصعب على الأبناء أن يَعُقّوهُمْ لأن الرجال أشد وأقوى ولذلك يخافهم الأبناء، أما الأمهات فإنهن أضعف وأكثر حنوًا وبالتالي يتهاونون في حقوقهن ويدخلون في العقوق.

– وَوَأْدَ البَنَاتِ: فقد كان مَن يُرزق بفتاة فإنه كان يدفنها حية خشية العار وقد حرَّم الإسلام ذلك.

– ومنع وهات: والمنع يعني: أن يمنع الرجل نفسه من أداء الواجبات التي عليه أما إذا كان لنفسه على غيره حق فإنه لا يتوانى في أخذ حقه.

_ وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ: عملنا وعملنا وذهبنا وأتينا وهذا فعل وذاك قال ومكالمات على الهاتف تستمر ساعات تضيع فيها الأوقات ومن بعدها الأعمار فيما لا جدوى منه.

- وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ: والمقصود بذلك هو سؤال المُتنطِع أما سؤال المتعلم الذي أراد أن يُزيل جهله فلا ينطبق عليه هذا الحديث.

- وَإِضَاعَةَ المَالِ: التبذير والإنفاق في غير أوجه الخير.

-الكلام أمره خطيرًا جدًا لأن كلمة واحدة يمكن أن تكتب على واحد من أبناء آدم سخط الله عز وجل.

عَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

مسند أحمد(15852)، سنن ابن ماجة(3969) ، سنن الترمذي(2319) [حكم الألباني] صحيح

ويُقصد بهذا: فإن الكلمة قد تُقال وليست مقصودة فيُكتب بها الرضوان، والعكس فقد يتكلم بكلمة فيكتب بها عليه سخط الله إلى يوم القيامة.

علينا أن نحرص على أن تكون ألسنتنا طيبة فلا نتكلم إلا بالطيب، والعقول لا تُفكر إلا في الخير ولا تتقلب إلا في الخير ولا تنتوي إلا الخير.

الشاهد: أنه لا ينبغي أن يستهين أحد بالكلمة لأنها قد تكون سبب في نجاة العبد ورضوان الله عليه كما أنها قد تكون سبب في غضب وسخط الله عليه وكبه في جهنم نتيجة لها.

_ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: " قُلْ: "رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَكْبَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذَا " قَالَ يَزِيدُ فِي حَدِيثِهِ: " بِطَرْفِ لِسَانِ نَفْسِهِ " **مسند أحمد(15418)،سنن ابن ماجة(3972)،سنن الترمذي(2410) [حكم الألباني] : صحيح**

سأل الصحابي النبي ﷺ عن شيء إذا تمسك به كان السبب في نجاته، فبدأ النبي ﷺ بقوله قل ربي الله ثم استقم: أي استقم على الأمر والنهي، فقال الصحابي وإذا فعلت ذلك فما الذي يمكن أن تخشاه على وأنا على هذا الحال، فأخذ لسانه وقال: "هذا".

لقد كان حال النبي ﷺ هو الإكثار من الكلام في الخير وإطالة الصمت ولا يتكلم إلا فيما يعود بالخير وكان يُرشد أصحابه ومَن حوله إلى قول الخير وفعله.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك